

خطاب صاحب الجلالة إلى الأمة في الذكرى الرابعة والثلاثين لعيد العرش المجيد

وجه صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني، يوم 2 شوال 1415 هـ الموافق 3 مارس 1995، خطاباً إلى الشعب المغربي، بمناسبة الذكرى الرابعة والثلاثين لتربع جلالتهم على عرش أسلافهم الميامين.

وفيما يلي النص الكامل للخطاب الملكي السامي:

الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه
شعبي العزيز،

أحمد الله في البدء على ما أسبغ علينا من منه وكرمه وما أفاض علينا من أفضاله ونعمه ومن بينها نعمة تجديد اللقاء بينك وبينني في هذا اليوم المبارك السعيد حيث نحتفل معاً بذكرى عيد العرش المجيد، ذكرى الامجاد والمفاخر التي انتهت إلينا متوارثة وممتدة من كابر إلى كابر.

وها نحن نلتقي مرة أخرى في هذا اليوم الأغرى، أيها الشعب الوفي الأبر لنحتفل بالذكرى الرابعة والثلاثين لتربعنا على عرش أجدادنا الميامين، ذكرى نقف عندها في مثل هذا اليوم من كل سنة وقفة تأمل وادكار وتبصر واعتبار في موعد مع التاريخ لا نتخلف أنت وأنا عن ميقاته، نظل طول السنة نتطلع إلى ملاقاته لاتقر لنا عين إلا عندما تسطع علينا شمس ويحفنا أسرة واحدة متماسكة فرحة وأنس، رابطين في الاحتفال بين الماضي الزاهر التليد والحاضر المشرق السعيد.

إنك - شعبي العزيز - تنتمي إلى وطن يحق لك أن تزدهى بتاريخه الضارب في القدم، ظلت فيه بلادنا شامخة راسخة القدم تحقق الانتصارات وتسجل النجاحات وتتغلب على ما يعترضها أحياناً من صعوبات. والتاريخ في الحقيقة كله كذلك انتصارات واخفاقات ونجاحات واحباطات وصعوبات وأزمات. لكن لا يثبت من الأمم في امتحانه العسير إلا تلك التي تفوق نجاحاتها اخفاقاتها.

والمغرب - ولله الحمد - من نوع هذه الأمم التي سجل تاريخها على مدها الطويل صفحات المجد الناصعة وتميز في جميع عهوده بمحطات شمسها متألقه ساطعة.

وقليلة هي الدول التي امتد نظامها كما امتد نظام المغرب أزيد من اثني عشر قرنا دون أن يضعف لها ذراع أو يخبو لها شعاع. لكن بلادك - شعبي العزيز - ظلت طيلة القرون شامخة الصرح، عزيزة المنال تتمتع بمنة الاستمرار وتحظى - بفضل الله - بنعمة الاستقرار حتى لتؤلف مسيرتها منذ ادريس الأول المؤسس الى عهدنا هذا، مسلسلا من حلقة واحدة تبدو في شكل عقد مرصع بدرة زاهية ماجدة هي عرشك أولى المؤسسات وأسماء وأحبها وأغلاها عنه انبثقت سائر المؤسسات وإليه تعود رعايتها وتحصينها وصيانتها. لذا فإن من انتمنه الله على مسؤولية اقتعاد هذا العرش يشعر بثقل أعباء التكليف ويرفع مسؤوليته فوق مظاهر التشريف لأن ممارسة دور الملك أمير المؤمنين وحامي الملة والدين أمانة لا يتم تحملها إلا بالقيام بها على الوجه الأتم الأكمل وموالة الاجتهاد وموصول الجهد لتحسين أداؤها كل يوم أكثر وأفضل.

واننا لنحمد الله سبحانه أن وفقنا منذ أن قلدنا مسؤولية قيادتك للاضطلاع بهذه الأمانة بما وفره لنا من عزم لم يعرف التراجع وجهد لم يصبه نضوب مما جعلنا نوالي خدمتك لا يعترينا بعون الله نصب ولا يمسن لغوب، ورجاؤنا في العلي القدير أن يمدنا دائما بمدده ويعيننا على ما نحن بصدده، إذ ما يزال أماننا الكثير مما نطمح الى تحقيقه لك من منجزات ما أشد حرصنا على تضمينها في سجل أمجادك حتى غمضي في الغد كالأمس لا نألو جهدا في خدمتك وإسعادك.

وطيلة الأربع والثلاثين سنة الماضية لم تدخر جهدا في تعميم التعليم والتكوين والتربية ولا ضعف لنا عزم في إحكام الخطط لتحقيق شامل التنمية، حامين وحدة المغرب الترابية ومرسخين مكانته في المجتمعات الدولية، دافعين بك - شعبي العزيز - على طريق التقدم وقائدين مسيرتك على مسالك التطور والتأقلم مع مقتضيات عصرنا الذي لا يقبل المتأخرين ولا يغفر للمتخلفين، حريصين مع ذلك على التوفيق بين مقتضيات الأصالة والمعاصرة ومتشبهين بمثلنا الحضارية ومحافظين على هويتنا التاريخية إذ بجميع ذلك يظل المغرب الجديد امتدادا لعهود التاريخ المجيد.

وهذه - شعبي العزيز- معادلة صعبة لا ينجح في حل إشكالياتها ووضع أرقامها في موضعها الصحيح إلا الأمم الملهمة فضيلتي الصبر والمصابرة المحققة أهدافها بكامل الجدية وموصول الثابرة ، الأمم التي تعرف وتحقق ما تريد وتتطلع دائما الى المزيد.

إننا حرصنا دائما على أن لا يكون التقدم الذي نطمح أنا وأنت الى تحقيقه - شعبي العزيز- مسخا لقيمنا أو انتكاسة لمثلنا أو تشويها لصورتنا أو طمسا لهويتنا . بل جعلنا التقدم في خدمة طموحنا المتمثل في أن يظل المغرب نفسه وذاته لا يشكل حاضره في ظل التقدم قطيعة مع ماضيه ولا يعجزه ماضيه بما يجعله يسير في وجهة معاكسة للتطور المحتوم الذي لا يغالبه أحد إلا غلب ولا يتجاهل حركيته أحد إلا جرد من نعمة البقاء وسلب.

لذا ظللنا طيلة عهدنا نرصد التطور الحاصل في بلادنا ونقيمه ، دائما نشجعه وعند الاقتضاء تارة نقومه ليظل سير التطور مستقيما وأداؤه سليما.

وإن الخطوة الكبرى التي قطعناها ولك شعبي العزيز برغبة تلقائية منا المحزناها لهي نقل المغرب بمجرد ما أخذنا المسؤولية إلى عهد الديمقراطية المتشخصة في الملكية الدستورية باقرار دستور أبينا أن يكون ممنوحا بل عرضنا على الاستفتاء لموافقة شعبنا عليه بكامل الحرية مما أضفى على مبادرتنا شكل ثورة قانونية حققنا بها طفرة نوعية.

ومنذ إقرار هذا الدستور ونحن كلما عن لنا من شعبنا ميل الى تعديله إلا وطرحنا على الاستفتاء الشعبي التعديلات التي نراها ضرورية أو بالغة الأهمية.

وهكذا في ظرف ثلاثين سنة عدلنا أربع مرات بعض مقتضيات الدستور متوخين دائما أن نحسن أداء الديمقراطية ونرفع من مستوى مؤسساتنا الدستورية مما جعل كل تعديل يزيد في حجم اختصاصات المؤسسات ويقويها ويفنيها ويثريها.

وآخر هذه التغييرات التعديلات الجوهرية العميقة التي عرفها دستور سنة 1992 والتي أصبح بها نظامنا الدستوري لا يقل ديمقراطية عن نظم الأمم التي لها في تاريخ الديمقراطية عهد طويل ومقام أصيل.

ومع ذلك ، فإن الدستور رغم سمو مقامه ومكانته عمل بشري قابل دائما للتطوير والتعديل والتغيير . لكن لا بد لتعديله من توفر شروطه الموضوعية وفي طبيعتها

استعماله في تجربة يثبت معها بالممارسة المستمرة قوته وصلاحيته أو ضعفه وهشاشيته فيصار في هذه الحالة الأخيرة الى تعديله بما يسير التطور الجديد ويضمن للشعب في مجال المشاركة في الحكم المزيد.

واننا لنعلم أنك - شعبي العزيز - قمين بأن تتطلع الى كل تغيير إيجابي . لكننا نعلم أنك لا تقبل من أشكال الأداء الديمقراطي الا ما يحافظ على تعاون المؤسسات السياسية في نسق متلائم وأداء متناغم . وأنك حريص على أن تظل مؤسسة الملكية كما كانت عبر التاريخ الملجأ والملاذ، والجالس على العرش القائد الذي لا ينتمي ولا يتحيز الا للجميع والحكم الذي تهفو اليه القلوب في الملل وتراجع اليه في الصعوبات والازمات ليدوم على بلادنا استمرارها وترسخ على أرضية ثابتة استقرارها.

ولقد عشت - شعبي العزيز - ما أدخلنا مؤخرا على بعض تشريعاتنا من تغيير إما لكونها أصبحت متجاوزة وإما لأن مقتضياتها تتنافى مع إرادتنا الثابتة في ترسيخ دولة الحق والقانون ودعم الحريات الديمقراطية وإحقاق حقوق الإنسان التي أسسنا للنظر فيها والسهر على حمايتها مجلسا استشاريا بجانبنا وخلقنا من أجلها لنفس الغاية وزارة خاصة . كما أسسنا المحاكم الإدارية للحد من التعسف والشطط في استعمال السلطة وأدمجنا في تعديلات الدستور إنشاء مؤسسة المجلس الدستوري الذي أصبح يمارس سلطات أوسع وأشمل من الغرفة الدستورية السابقة . وهذه وغيرها مما يتصل بمجال ترسيخ دولة الحق والقانون ثوابت في سياستنا لا تزول وخيارات لا تتغير ولا تحول.

وإنك - شعبي العزيز - لتعرف ما تتمتع به اليوم بلادنا في المجال الدولي من مصداقية وما يكتسبه المغرب في الخارج من مكانة مرموقة زاهية بفضل ما تميزت به سياسته الدولية من تفتح وعقلانية أهلاه لاحتضان عدة ملتقيات عالمية.

. ونحن مؤمنون أن سر هذه النجاحات يكمن فيما يطبع جهدنا أنت وأنا من وفاق ووثام وما يميز علاقتنا - ولله الحمد - من انسجام بل التحام.

شعبي العزيز

لقد حفلت السنة الفارطة بوقائع وأحداث كثيرا ما كان ضغطها قويا شديدا . فرغم مقاومة مفهوم الدولة - الوطن من أجل البقاء وإصراره على الاستمرار - فإن الميل الى

الكونية والعالمية أضحي يشق طريقه ، وهذا هو الاتجاه الذي تجلى خلال التظاهرات الأربع التي احتضنتها بلادنا على التوالي بمراكش والدار البيضاء وفرن.

وإنه لطبيعي أن يظل المغرب على مدى تاريخه الطويل أرض اللقاءات والتساكن والتسامح ما دام يربط بين قارتين ويشكل نقطة الالتقاء بين بحرين دافقين بالعطاء.

وقد ساهم بالطبع قمازج الأفكار وتلاقح الخصوصيات وتشابهك التنوعات في إعطاء شعبنا وجها مشرقا واحدا ولكن متعددة القسمات ، وهو ما خوله الميزة التي تطبع شخصيته القوية ذات الأصالة الثابتة وتضمن في نفس الان انفتاحه الواسع على الاسهامات الخارجية.

إن هذا المغرب السخي المضياك عرف على امتداد القرون كيف يحافظ على أفضل الروابط مع الآخرين وكيف يحترم ما لكل منهم من فروق وتنوعات. كما أن المغرب المتفتح الراض رفضا باتا للغلو والتعصب عرف كيف يبني شخصيته ويرسخها في خضم التقلبات التي يجيش بها التاريخ . وإن شخصيته المتميزة هذه لهي التي أهلته لأن يتكيف مع التطورات العديدة دون أن يتردى في هوية التبعية أو ينتاب وجهه المشرق تشويه.

واخر مثال على ذلك هو الحماية التي زرعت في كيانه كجسم غريب والتي لم تكن في تاريخه سوى عارضة بين قوسين في النهاية.

ومع ذلك ، فكم من مناورات ومجهودات بذلت لتفريقنا وتشتيتنا وتحويلنا الى فسيفساء ، قبائل متفرقة مبعثرة ، ركاما بعضه فوق بعض. وقد خرجت - ولله الحمد - أصالتنا من هذه الحرب غير المعلنة أشد قوة وأعلى شأنا بفضل الكفاح المستميت الذي خاضه الشعب والملك ضد الغزاة.

إن ما امتاز به والدنا المنعم ، صاحب الجلالة محمد الخامس - قدس الله روحه - من بصيرة نافذة الى الاعماق وتبصر حكيم وما كان يتحلى به من روح التفاني وما بذله من تضحيات هو الذي جعل الشعوب الافريقية الاخرى تتخذة مثالا يحتدى وقدوة تتبع لتحقيق بدورها استقلالها وتحرر من أغلال الاستعمار.

وما أن حقق المغرب استقلاله واستعاد سيادته الكاملة حتى دخل بنفس الصلابة وقوة

العزيمة معركة أخرى لصنع مصيره بنفسه والحجاز مشروعه الكبير... مشروع البناء والتشييد. وقد قطعنا في هذا المجال مسافة طويلة تعددت معها في جميع الميادين مكتسباتنا وتنوعت فيها - حمدا لله - عطائنا والحجازاتنا.

شعبي العزيز

إننا لا ننوي بهذه المناسبة أن نقوم بمجرد شامل لما تحقّق خلال السنوات الأخيرة. فنحن على يقين أن لمحة عابرة تشكل ومضات مضيئة تكفي لتقتلع شكوك المرتابين وتشجع على مواصلة العمل المقدامين الموقنين.

وبفضل ما كان لصاحب الجلالة محمد الخامس - تغمده الله برحمته في واسع جنانه - من بعد نظر وحكمة استمرت البلاد تحت قيادته غداة استقلالها محافظة على بنياتها الأساسية... واقتصرنا على تحويل هذه البنيات بما يجعلها تتلام مع الوضع الجديد، وتوخينا منها أن تكون كاملة شاملة لخدمة مصالح شعبنا وتركيز استقلالنا. وهكذا يمكننا اليوم أن نفاخر بأن لنا إدارة سليمة ثابتة الأسس، مستكملة البنيات ومحقة في جميع الظروف تسيير شؤون البلاد تسييرا حسنا.

وموازة مع ذلك، وفي الوقت الذي كانت فيه مذاهب أخرى تطفئ في العالم اخترنا نحن - بما لا رجعة فيه - العمل بالنظام الديمقراطي لإشراك شعبنا في تدبير شؤون الأمة.

وقد أحطنا هذا الاختيار بكامل عنايتنا وحرصنا سنة بعد أخرى على تحسينه وتتميمه. وإذا كانت ديمقراطيتنا ربما لم ترق بعد إلى أوج الكمال، فهي مع ذلك واقع قائم وأمل محسوس وملمس على جميع الأصعدة. وإن همتنا الشاغل أن نجعل منها الأداة الفاعلة لخدمة مصالح شعبنا والدفاع عن حقوقه المشروعة. وهكذا نمضي مشاهرين سالكين هذا المسلك الرشيد، مستعينين دائما بكل ما قد يرشدنا ويدلنا على التعرف على الأوضاع الحقيقية التي يعيشها رعايانا. ولذا أنشأنا المجلس الاستشاري لحقوق الإنسان الذي برهن على فعالية مثالية في الحجاز مهمته وأثار انتباهنا بكل إخلاص وولاء وموضوعية إلى كل ما ينبغي أن يتخذ في مجال حقوق الإنسان مما يضمن رفع مستوى المغرب بين البلدان الكبيرة الحريصة على الحفاظ على تلك الحقوق والدود عنها.

كما أسسنا بعد ذلك المجلس الوطني للشباب والمستقبل لاستئصال المجرم الذي يشكله تعداد الشباب العاطلين، ونحن واعون تمام الوعي أن وضعية الشباب المحروم من العمل تستدعي جهداً حقيقياً على مستوى تصور الفكر المبدع لإيجاد حل لها وعلى مستوى مساهمة الجميع بحكم واجب التضامن الوطني.

وتتبعنا لملفات الآليات القانونية والمؤسسية أحدثنا مؤخرًا بجانبنا المجلس الاستشاري لمتابعة الحوار الاجتماعي.

إن عالم الشغل يمر اليوم فعلاً بفوران مزعج حيث تنفّس في كل جهة من العالم البطالة حيث لم يسلم منها أي بلد . بل تعاني منها حتى البلدان التي تحقق إنجازات اقتصادية عالية المستوى.

ومعلوم أن مجتمعنا يتركب من طبقات وشرائح مختلفة مثله في ذلك مثل سائر المجتمعات في العالم . ولكل قطاع . كما هو معلوم . مصالحه الخاصة به المخالفة لمصالح القطاعات الأخرى.

والمصالح تتباين بطبيعتها بل يتعارض بعضها مع البعض في بعض الأحيان مما يجعل هذا التعارض يؤدي غالباً إلى نزاعات مضرّة بالقطاعات المعنية نفسها إذا لم تؤخذ جميع المصالح بعين الاعتبار.

ومهمة مجلسنا الجديد هو أن يمكن ممثلي الفئات المختلفة من استمرار الاتصال فيما بينها عن طريق الحوار المستمر الفعال.

إن ما أثارته عملية الخوصصة لدى شعبنا من اهتمام وحماس لدليل جديد على أن مجتمعنا قد نضج وأن المغاربة واعون أكثر فأكثر بضرورة وأهمية ارتباطهم مباشرة بتسيير مشاريع البلاد وتدبيرها، فالطلبات فاقت العروض خمس وست مرات.

وقد تمت الخوصصة بانتظام وفعالية، وحرصنا على أن تتخذ جميع التدابير لتتسم العمليات بالشفافية اللازمة والموضوعية الكاملة.

ولتلافي الوقوع في الخطأ ولتجنب كل تقييم بخس للمقاولات المعروضة للخوصصة استعنا بكبار الخبراء الدوليين لدرجة أن الحصيلة المتوقعة اليوم تعدت بكثير التوقعات الأكثر تفاؤلاً.

وعلى صعيد آخر، الميزنا مؤخرًا عملية احصاء وطني للسكان . ونجند لمباشرتها زهاء ثمانين ألفا من الأشخاص وأتموها على الوجه الأكمل.

وقد لا تعطي الأرقام التي تضمنتها النتائج التي أبلغناها والتي نشرت على العموم فكرة واضحة عن الأهمية الحقيقية للعملية نظرا لجفاف هذه الأرقام . لذا أعطينا حكومتنا تعليمات تقضي بتنظيم نقاش واسع حول الإحصاء ونتائجه وآثاره . وسيسشارك في هذا النقاش ممثلو الأحزاب السياسية وأساتذة الجامعات والباحثون والأخصائيون في علم الاجتماع وعدد آخر من الخبراء المتخصصين . ومن وراء ذلك نتتظر استنتاجات كاشفة موضحة لتعتمد كسند عند وضع أسس السياسة الجديدة التي نعتزم سنسها خاصة في الميدان الاجتماعي وما يهم العالم القروي.

شعبي العزيز:

إن مسألة التعليم في بلادنا أكبر ما يستأثر باهتمامنا لأن أمر التعليم أمر حيوي لاتصاله وارتباطه بتربية أبنائنا وتكوين الإنسان المغربي.

وقد عرف التعليم ببلادنا مستويات مختلفة وقطع مراحل عديدة. كما أنه حقق وثبة بعيدة إلى الأمام إذا ما قارناه بما كان عليه في عهد الحماية وأوائل استقلالنا. إنها وثبة على المستوى الكمي والمستوى الكيفي في آن واحد..

ولكن رغم التقدم الذي تم تحقيقه فإن الموضوعية والنزاهة - وهما يطبعان دائما جميع توجهاتنا السياسية - يحملتنا على أن نسجل أنه ما يزال هناك شيء الكثير الذي علينا أن نقوم به لرفع التحديات الجديدة التي يواجهها حاليا قطاع التعليم حيث لا يفتأ يواجه نقصا في العديد من الأوجه.

إن إنجاح التقويم والتصحيح الواجب إدخالهما على نظامنا التعليمي يتطلب أن يتم تصور هذا النظام ومعالجته في إطار سياسة يطبعها التماسك والانسجام ، تتجه نحو المستقبل وتتسم بمرونة كبيرة.

والتعليم مسألة تهم الجميع وكل واحد على انفراد. وهي مسؤولية جماعية يلتقي على ممارستها كل من الدولة وأولياء التلاميذ والأساتذة والمعلمين والفعاليات الاقتصادية. ولذا فكل سياسة تتبع في شأنها يجب أن تكون محل اتفاق بين الجميع

لتلاقي كل تعثر وانحراف. ومن أجل ذلك أعطينا - مستلهمين من هذا التوجه - في بداية هذه الدورة التشريعية توجيهاتنا في خطاب ملكي وجهناه الى مجلس النواب ليعمل على تنظيم نقاش ومداولات يتناقش فيها ممثلو الشعب وشخصيات مختلفة ذات علم وخبرة مع مساهمة حكومتنا فيها للوصول الى وضع الأسس اللازمة لسياسة تكون حصيلة للتوافق الوطني العام ، خالية من كل اعتبار ديمagogي ومن أي تعصب حزبي أو طائفي. ولنا اليقين أن ما سيتمخض عن هذه المداولات من نتائج سوف يضمن لأبنائنا التكوين الملائم المنشود.

شعبي العزيز

كنا أعلننا - بمناسبة افتتاح الدورة البرلمانية الحالية يوم 14 أكتوبر من السنة الماضية - عن عزمنا على تأسيس حكومة تناوب تتكون أساسا من أحزاب المعارضة وبمعية الأحزاب الأخرى التي تريد الالتحاق بها لتأليف تحالف يتوفر على أغلبية عديدة داخل مجلس النواب.

والواقع أن كل ما فعلناه هو العودة للفكرة التي كنا طرحناها منذ أكثر من سنتين، عندما عرضنا على أحزاب المعارضة نفسها تكوين حكومة أقلية التزمنا لها أن نضمن استمرارها لمدة سنتين أو ثلاثة.

وكان يحدونا في هذا المسعى مواصلة ما دأبنا عليه من إحاطة جميع رعايانا بدون استثناء بعنايتنا ورعايتنا ، لم نفضل قط من بينهم لا فئة ولا شريحة ولا طبقة اجتماعية على أخرى . ودائما وفي جميع الظروف وضعنا نفسنا فوق جميع الاعتبارات لا يلهمنا في عملنا إلا ما هو في خدمة المصلحة الكبرى للأمة.

ولأننا نضع نفسنا فعلا في خدمة هذه المصلحة الكبرى للأمة ، قررنا تحويل مجرى الأمور لنجعلها أكثر ملاءمة مع حركة التطور والمعطيات الجديدة للمجتمع . فالعالم كله عرف تغييرات عميقة قلبت كل الأسس بما في ذلك الرؤيا التي كانت سائدة عن طبيعة المجتمع الدولي . ذلك أن جانبا مهما من هذا المجتمع هو بكامله ، مبرزاً عن نفسه للعالم مظهرا غير منتظر بدأ فيه نظام القطبية وقد انقلب رأسا على عقب.

وكان من الطبيعي والحالة هذه أن يسعى المغرب بدوره الى التلاؤم مع النظام

الجديد. فمبررات الانحسار والانقطاع التي كانت واردة فيما مضى لم يعد لها وجود. وما خفف من حدة الصراعات الطائفية والمذهبية تكريس التساوي وترسيخ التقارب بين مختلف النزعات والحساسيات عبر العالم.

وفيما يخصنا، ارتأينا - والحالة هذه - أنه من الطبيعي - وحتى من الواجب علينا - أن ندعو إلى إدارة الأمور العامة أولئك الذين كانوا قد انقطعوا عنها تمسكا بنظرية ومذهبية انقضت اليوم. وستأبر على بذل جهودنا في هذا السبيل اقتناعا منا بأن الواقعية سوف تنتصر في النهاية.

شعبي العزيز

بعد أن لم يتأت تحقيق التناوب على الحكومة أسسنا حكومة معظمها من بين الأغلبية البرلمانية الحالية جل أعضائها - أن يكونوا كلهم - رجال عرفوا بخبرة في ممارستهم للأمور ويولائهم وتعلقهم المتين بمؤسساتنا. ولن تحيد هذه الحكومة عن الخطوط التي رسمناها لسياستنا العامة وستولي - طبقا لتوجيهاتنا - عناية قصوى للجوانب الاجتماعية من سياستنا ولإنعاش العالم القروي وتنميته ، ذلك العالم القروي الذي نعتقد أن الأوان قد آن لإنصافه وتخويله فرصته الأساسية ليأخذ مكانه الجدير به في المجتمع المغربي وليشارك أكثر وأشد في تنمية البلاد وتقدمها حضاريا وثقافيا.

شعبي العزيز

بالرغم من كثافة النشاط الذي بذلناه لصالح البلاد داخل المغرب خلال السنة المنصرمة قمنا بمسؤوليات دولية مكثفة كذلك. فالمغرب العضو الفاعل في المحفل الدولي يتحمل مسؤولياته كاملة ويوفي بانتظام وصدق وإخلاص بجميع التزاماته، الأمر الذي يجلب له من جميع شركائه الاعتبار والتقدير.

وبفضل ما تتحلى به سياستنا من حسن السلوك والاستمرارية والاحترام العميق للقواعد التي تحكم العلاقات بين الأمم ويحكم تعلق هذه السياسة المتينة بالشرعية الدولية فقد ساهمت في إبراز المغرب في صورة بلد متزن ، معتدل ، تطيع الحكمة مواقفه وسلوكه الدولي ، بلد متعلق بالسلم ، عامل بدون كلل من أجل إقامة علاقات أخوية بين الشعوب والأمم. وهذا ما جعل أنظار الدول العظمى تتجه تلقائيا إليه.

ونظرا لما يتحلى به بلدنا من انفتاح وتسامح ونبذ للتعصب ولنزعة الرفض وما يتناز به من كرم وسخاء وحرارة الاستقبال التي يجيدها سكانه وبخوصونها للوافد عليهم فإنه سرعان ما أصبح القبلة المثالية للقاءات الكبرى والتظاهرات المهمة حيث تحدد غالبية التوجهات الأساسية للسياسة الدولية.

وهكذا تم بمراكش في شهر أبريل 1994 عقد المؤتمر الوزاري للإتفاقية العامة للتجارة والتعرفة الجمركية الذي أنهى جولة الأوروغواي المبتدأة قبل سبع سنوات واضعا بذلك خاتمة لأكبر المفاوضات التجارية طموحا في تاريخ الإقتصاد الدولي.

وبهذه المناسبة قدمت مراكش للعالم أجمع إحدى تلك اللحظات المتنازة من التاريخ التي تجد فيها الإنسانية من الطاقة والدوافع الخلقية ما يجعلها تبتكر لنفسها مشروعا جديدا وتبعث الأمل في غد أحسن.

وقد أشرفنا بنفسنا على اختتام هذا المؤتمر الذي أنشأ المنظمة العالمية للتجارة مكرسا بذلك دولة القانون في العلاقات الاقتصادية والتجارية الدولية ومرجحا قواعد الانضباط الجماعي العالمي على محاولات الإنفرادية وتغليب إرادة الأقوى.

وقد طالبنا بالحاح الدول الغنية أن تزيد من مساعداتها للدول الأشد احتياجا حفاظا على الانسجام والتوازن بين الشعوب واقترحنا بالخصوص إحداث «برنامج مارشال» جديد لفائدة افريقيا ، قارتنا العزيزة.

وبعد مراكش جاء دور الدار البيضاء لاستقبال المؤتمر الاقتصادي للشرق الأوسط وشمال افريقيا ، وهو المؤتمر الذي عقد برناستنا وشرف الرعاية المزدوجة لصاحبي الفخامة الرئيسين بيل كلينتون وبوريس يلتسين.

ولم يكن اختيار الدار البيضاء محض صدفة. فهذه المدينة كانت أولى بقعة في العالم انطلقت منها جنود الحرية خلال الحرب العالمية الثانية. وفيها انعقد مؤتمر أنفا الذي كان عليه وضع العلامات الأولى لخريطة عالم ما بعد الحرب.

إن اختيار الدار البيضاء كان إذن تكريما للإخلاص للقيم الكونية الكبرى وتقديرا للكفاح من أجل الازدهار في إطار السلم التي كانت تبدو قاصية المتال . ولكن ثابرتنا على العمل من أجلها ما يزيد على عقدين الى أن أصبحت تبدو اليوم في متناول اليد.

ورغم أننا اعتمدنا التفاوض دائما في توجهاتنا كأساس ضروري لكل عمل فإن هذا التفاوض أصبح شيئا ما مزعزا من جراء تعثر مسلسل السلام في الأسابيع الأخيرة.

وإننا نعتبر شخصا أن إنقاذ هذا المسلسل من الإجهاض يتمثل في أن تقتحم الأطراف المعنية بكل شجاعة سبيل المعالم التي اتفق عليها في أواسلر ومدرید وواشنطن وأن تتضافر الجهود لطى المسافة بالسرعة والحكمة اللازمتين وأخذ نفس جديد يساعد على كسب رهان السلم التي أصبحت خيارا لا رجعة فيه.

وقد كان الهدف الأساسي للمؤتمر الاقتصادي للشرق الأوسط وشمال إفريقيا هو بالذات دعم السلم وتوفير الوسائل لها لتستتب وتدم وتبقى في مأمن من المخاطر. أو بعبارة جامعة كان المراد وضع الاقتصاد في خدمة السلم.

وهكذا فإن مسلسل السلم الذي انطلق من مدرید ثم تبلور في واشنطن تواصل بشكل طبيعي بالدار البيضاء حيث تعزز ببرنامج للتعاون الجهوي يركز على تنمية اقتصادية مشتركة متوازنة.

وقد انتهت أشغال المؤتمر التي كانت مثمرة ومفعمة بالدلالات الى وضع المعالم والأسس لمجتمع جديد لمنطقتنا تستطيع الاجيال القادمة - كما تمنى - أن تنعم في ظله بالسلم والطمانينة والإزدهار والإستقرار.

وفي أقل من شهرين بعد انتهاء هذا المؤتمر انعقدت في شهر دجنبر 1994 بالدار البيضاء أيضا قمة منظمة المؤتمر الإسلامي. وهي قمة جاءت في وقتها المناسب.

إن الاسلام - شعبي العزيز - موجود في كل جهة من جهات العالم . وهو ينتشر في جميع القارات وينصهر في سائر الحضارات والثقافات ويطنح بقدر وفير من الطاقات والامكانات . وكل شيء يرشحه لخدمة الإنسانية بروح من التعاون الصادق المخلص مع المجموعات الأخرى.

إلا أن مجاح الاسلام وانتصار تعاليمه وقيمه يخلقان له عددا من المناوئين ويشيران حوله نوعا من الهيجان الذي لا يفور دائما بالتعاطف معه. فتنة مؤامرات حقيقية تدبر ضده وغالبا ما يقدمه أعداؤه وكأنه مدرسة للكراهية ودين مختل متحجر ومتعصب.

ومما يخدم أطروحة خصوم الاسلام الخاطئة وجود عناصر تتسم بالغلو في بعض البلدان

الاسلامية ، تحمل لواء الإسلام لغرض وحيد هو اشفاء ما في صدورنا من حقد وغل وطمع في الاستيلاء على الحكم بينما هي واعية أنه لا سبيل لها إليه إلا بالطرق المشروعة التي ينادي بها الإسلام نفسه.

وبهذا التصرف المشين تشوهت صورة ديننا الحنيف في نظرة الغير مع أن ما يتبادر منها للملاحظ لا يمت بأدنى صلة الى قيم الاسلام الخالدة وتعاليم القرآن الكريم والسنة المطهرة.

وإن قمة الدار البيضاء التي انعقدت تحت شعار "الأخوة والانبعاث" أدركت تمام الإدراك الخطر الذي يهدد ديننا وتوصلت في نهاية أشغالها الى تحديد الطرق والوسائل القمينة بإعطاء الاسلام بعده الحقيقي من جديد كدين متفتح متسامح ، قادر على التكيف مع مسيرة التطور العالمي.

وبعد هذه القمة احتضنت مدينة يفرن أشغال لجنة القدس التي يخصها المسلمون - حيثما وجدوا عبر العالم - بحب وتعلق ويتوجهون بأبصارهم إليها بإجلال. ولذا أنشأت منظمة المؤتمر الاسلامي لجنة دائمة مكلفة بالسهر على مصيرها والتصدي للمحاولات الهادفة الى تهويدها ومسح معالم الاسلام فيها.

إن مدينة القدس تخضع منذ 1967 للإحتلال الاسرائيلي الذي لا يفتر عن طمس مالها من طابع أصيل وما بها من اثار اسلامية ومسيحية ممتدة عبر القرون. ولقد كانت أشغال دورة لجنة القدس كثيفة مثمرة. وإن ما أولاه كل وفد من عناية بجميع ما يتعلق بالمدينة المقدسة وما خصصه من دراسة متعمقة لمسألة لجدول الاعمال لما ترتاح له النفس ويبشر بالخير.

وباقتراح منا قررت اللجنة إحداث وكالة للقدس تحت اسم بيت المال هدفها جمع الأموال من المصادر العمومية والخاصة بهدف صيانة المدينة المقدسة وتحريرها.

ولن تحمل هذه الوكالة محل صندوق القدس الموجود من قبل الذي سيستمر في أداء مهامه. وستعمل تحت إشراف لجنة القدس كما ستمثل فيها بواسطة وزراء المالية الجهات الثلاث التي تتكون منها منظمة المؤتمر الاسلامي.. أي المجموعة العربية والأسبوية والإفريقية.

ساهم في أعمال اللجنة الرئيس ياسر عرفات الذي كان بجانبنا مساهمة فعالة ودارت أعمال هذه اللجنة في جو مفعم بالمودة والأخوة وحسن التعاون وأكدت عزم المشاركين - فرادى وجماعات - على تحرير القدس الشريف في أقرب الآجال حتى يتحقق ما نتطلع إليه ، هو أن تكون القدس الشريف عاصمة لدولة فلسطين.

شعبي العزيز

تلکم كانت السنة التي عشناها طافحة بالأعمال ، حافلة بالأمال ، مثمرة من النتائج ما تجعلنا نأمل في أن تكون واعدة بمبشرة بمستقبل يعمد لصالح الجميع السلم والهناء والإزدهار والرخاء.

إنه لواجب علينا - شعبي العزيز - أن نتوقف في هذه اللحظة التاريخية للإشادة بأولئك الماهدين الذين سبقونا إلى اعتلاء هذا العرش المكين ، حماة الديار وبناء الأمجاد ، من تقاتوا في خدمة البلاد ورفعوا رأس المغرب شامخا وتركوا له في التاريخ أثرا راسخا من المولى أدریس الأول إلى والدنا المنعم ، جلالة الملك محمد الخامس أثابهم الله جميعا في دار الرضوان وأجزل لهم المثوبة والغفران.

و على روح والدنا الطاهرة محمد الخامس المنعم ندعو بالشواب الجزيل ونترحم سائلين الله أن يهبه في دار النعيم على قدر ما أعطى لربه وبلاده ووفى وما جاهد لسعادة شعبه وضحي ، داعينه سبحانه أن يجعله في جوار النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.

ونعلن عن بالغ تقديرنا وسابغ رضانا لقواتنا المسلحة الملكية وقوات الدرك الملكي والأمن والقوات المساعدة على جهودهم الموفور وانضباطهم واستعدادهم الدائم المشكور. ونلتفت التفاتة محبة أبوية إلى المرابطين من قواتنا في صحرائنا المغربية ، الساهرين بجانب إخوانهم المدنيين على سلامة تلك الديار وتحصينها من فلول البغي والخراب والدمار..

ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يطر شأبيب رحمته وسحب ثوابه ومغفرته على شهدائنا الذين سقطوا في معركة التحرير ليعيش الوطن بعدهم في أمان وسعادة وأطمئنان.

اللهم إنك تعلم ما أجهر به وأسر وما أعلنه وأضر وإنك تعلم أن قلبي يجيش بحب شعبي حبا لا ينضب له معين . فكن لي لتحقيق ما أسعى له الولي المعين وقرني على متابعة مساعي بحولك وقوتك حتى أبلغ غاية قصدي . إنك سميع مجيب .
« إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب »
صدق الله العظيم .
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .